خرائط الموت

محمود سالم

خرائط الموت

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

خرائط الموت

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٦٠٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
المغامرة ... تبدأ في السيرك	١١
ماذا حدث لأرقام السيارة؟!	١٧
مكالمة ... من خلال الحائط	٢٣
ساعة المواجهة ... الحرجة	٢٩
«قيس» ... يُصبح ممثِّلًا	٣٥
الحقيبة ... التي تحمل الشمس	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

المغامرة ... تبدأ في السيرك

عندما ارتفعت إشارات الإنذار في المقرِّ السريِّ للشياطين لم يظنوا أن الأمر على هذه الدرجة من الأهمية؛ فلأول مرة تُحدَّد ساعة سفر الشياطين والمجموعة قبل أن يعرفوا طبيعة المهمَّة التي سيخرجون إليها ... ففي حجرةِ أربعةٍ منهم دقَّت إشارة تعني «استعدَّ للسفر». في نفس الوقت كانت إشارات الإنذار للاجتماع السريع قد دقَّت في كل حجرات الشياطين الـ «١٣»، وكان الأربعة شياطين هم: «أحمد»، «قيس»، «رشيد»، «خالد».

عندما التقَوا جميعهم أمام باب قاعة الاجتماعات التقت أعْيُن الأربعة، فلم يكُن الآخرون يعرفون ... وأخذوا أماكنهم في قاعة الاجتماعات، وبسرعة جاء صوت رقم «صفر» يقول: إن المسألة مسألة وقت؛ فالمجموعة التي حدَّدتُها يجب أن تنطلق بمجرَّد أن ينتهي الاجتماع الذي لن يطول.

عندما توقَّف رقم «صفر» قليلًا نظر الشياطين بعضهم إلى بعض، وفهموا بسرعة أن «أحمد» و«قيس» و«رشيد» و«خالد» هم المقصودون.

قال رقم «صفر»: إن هناك سباقًا الآن، وفي هذه اللحظة بالذات، بين السلطات الفرنسية، ومجموعة من عصابة «سادة العالم». وللأسف فإن «سادة العالم» يعرفون الأفراد الذين يُطاردونهم، وعليكم ... سوف تتوقَّف نتيجة الصراع!

صمت رقم «صفر»، وفي نفس الوقت كانت أعين الشياطين ترقب لوحة الخرائط التي لم يظهر عليها شيء، وقطع عليهم صوتُ رقم «صفر» تساؤلهم قائلًا: إننا لا نعرف أين يقع بالضبط مركز قيادة عصابة «سادة العالم». ولا أستطيع أن أُحدِّد لكم المكان؛ ولذلك لم تظهر خريطة ما في اللوحة. المهم أن المسألة كما جاءتنا من عملائنا: لقد استطاعت العصابة أن تحصل على الخرائط الخاصَّة بالمفاعل النووي الذي ستُسلِّمه فرنسا إلى العراق، وهذه

الخرائط على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية، حيث قد أدخلت عليها تعديلات خاصةً للاستفادة من الطاقة الشمسية، حيث ترتفع درجة الحرارة في العراق.

إن هذه الخرائط تضمُّها حقيبة أوراق سوداء عليها حرفَي «إن. إس»؛ وهما الحرفان الأوَّلان من «نيو صن»، أو «الشمس الجديدة». إن المغامرة بدأت في «باريس»، ومن هناك سوف تبدأ حركتكم. إن كل شيءٍ جاهز حتى تبدءون عملكم. إنني لا أُريد أن أُعطِّلكم الآن، فعليكم بالانطلاق، وأتمنَّى لكم التوفيق.

انسحب صوت رقم «صفر»، وفي لمح البصر كان الشياطين جميعًا يأخذون طريقهم خارج القاعة، وعندما اتجه الأربعة إلى مكان السيارات كان بقية الشياطين يقفون في الشرفة الزجاجية العريضة يرقبون رحيلهم، ولم تمرَّ دقيقة حتى كانت سيارة الشياطين تخرج من المقر السري في سرعة الصاروخ، وبنفس السرعة أُغلقت الأبواب الصخرية للمقر، ثم أخذت السيارة تختفي أمام أعين الشياطين، حتى أصبحت نقطةً صغيرة، لم تلبَث هي الأخرى أن اختفت نهائيًّا.

وعندما كانت السيارة تَدْخُل المقر السري في القاهرة دَقَّ جرس التليفون، حتى إن الشياطين نظر بعضهم إلى بعض، ثم أسرع «قيس» إلى الداخل، فرفع سمَّاعة التليفون بسرعة واستمع، ثم وضع السماعة. كان الشياطين قد انضمُّوا إليه فقال: إن تذاكر الطائرة قد حُجزت، وسوف تُقلع من مطار القاهرة في الرابعة مساءً.

نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم قال: لا بأس، إنه موعد مناسب؛ فنحن نحتاج لبعض الراحة.

اغتَسلوا وأكلوا بعض الفاكهة المحفوظة، وعندما كانت الساعة تقترب من الثالثة، قال «خالد»: ينبغي أن نرحل الآن ... ولم يكَد يُنهي جملته حتى دَقَّ جرس التليفون القريب من «أحمد»، فرفع السمَّاعة فسمع: إن السيارة التي سوف تُقلُّكم، سوف تصل بعد دقيقة واحدة!

وضع «أحمد» السمَّاعة ونقل المكالمة إلى الشياطين، واستعدُّوا في لحظات، ثم أخذوا طريقهم إلى خارج المقر في نفس اللحظة التي وصلت فيها سيارة مرسيدس ٢٣٠ زرقاء.

ركب الشياطين بسرعة، وانطلق السائق. كانت الشوارع مُزدحمةً تمامًا في هذه الساعة من النهار، وكان الشياطين يرقبون هذا الزحام، غير أن أفكارهم كانت تدور حول أسرع مُغامرة حدثت، بل إنها أكثر غموضًا من أية مغامرة أخرى. إن السباق الذي يدور الآن لا بُدَّ أن يلحقوا به، وأن يكونوا طرفًا فيه، بل إن عليهم أن يُوقفوه في الوقت المناسب ...

كانت أفكارهم تأخذهم إلى مُغامرات سابقة في «باريس»، لكن هذه المرة قد يذهبون إلى أماكن لا يعرفون عنها شيئًا.

كانت السيارة تسير ببطء لشدة الزحام، لكنها فجأةً انطلقت؛ فقد تخلَّصت من زحام حي الأزهر التجاري، ثم حي الحسين إلى طريق صلاح سالم، إلى مصر الجديدة حيث يقع مطار القاهرة الدولي خارجها. وكان الشارع عريضًا بما يكفي. وشيئًا فشيئًا أخذت المباني تختفي، ثم ظهر فندق شيراتون المطار الجديد ... وظهر المطار، وعندما كانت المسافة تقل بالتدريج، كانت تظهر حركة السيارات والركاب، وخلفهما كان يأتي صوت محركات الطائرات الرابضة في أرض المطار.

غادَروا السيارة في هدوء، ثم أخذوا طريقهم إلى صالة المطار حيث يقع مكتب شركة «الإيرفرانس»، وتسلَّم «رشيد» التذاكر، ولم يكُن قد بقي على إقلاع الطائرة وقتٌ طويل؛ فعندما كان «رشيد» ينظر إلى ساعة المطار كان صوت المذيعة الداخلية يتردَّد في الصالة يطلب من ركاب الرحلة المسافرة إلى «باريس» أن يأخذوا طريقهم إلى الطائرة. وعندما استقرُّوا في مقاعدهم كانت مذيعة الطائرة تتمنَّى للركَّاب رحلةً طيبةً وتطلب منهم ربط الأحزمة، وما هي إلا دقائق حتى كانت الطائرة تأخذ طريقها إلى الفضاء تقطع الطريق إلى أسرع مغامرة يدخلها الشياطين.

كان كل شيءٍ يخضع لعامل السرعة هذه المرة؛ فبرغم أن الطائرة قطعت رحلتها في نفس الوقت المحدَّد، والذي يعرفه الشياطين جيدًا، إلا أنهم لم يشعروا بمرور الوقت. كان المساء قد هبط على مطار «أورلي» الفرنسي، وأخذت الأضواء تلمع في المطار ... الذي كان يظهر واضحًا. وبينما الطائرة تأخذ طريقها إلى الأرض كان الجو في الخارج يُنذر بمطر ثقيل؛ ولذلك فقد بدأ الرذاذ يُصافح الوجوه التي كانت تنزل من الطائرة ويلذعها برفق.

كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى خارج أرض المطار التي بدت مُبلَّلةً بمياه المطر، وما كادوا يدخلون الدائرة الجمركية حتى بدأت عاصفة شتوية، وكأن السماء كانت تنتظر وصولهم، واضطُر الركَّاب جميعًا أن ينتظروا قليلًا حتى يهدأ الجو، إلا أن المطر كان يزداد، وتناثرت كلمات الركَّاب في الصالة الواسعة، وعلت سُحب لفائف التبغ التي كانت ترسم دوائر فوق رءوس أصحابها، وكانت أعين الشياطين تنتقل بين الركَّاب وحقائبهم التي يحملونها، ولم يكُن هناك ما يَلفت النظر.

فجأةً دوَّى صوت الميكروفون في الصالة يتردَّد محدِّدًا تلك الأسماء: السادة «دام رام»، «ديسوسي»، «ريشاراك»، «دال توي». أَنصَت الشياطين إلى هذه الأسماء التي تتردَّد، فهمس «أحمد»: إننا المقصودون!

تحرَّك الشياطين في هدوء في اتجاه الميكروفون، وعند حجرة الإذاعة تقدَّم «أحمد» قائلًا: إنني «دام رام»!

ردَّ مُوظَّف الإذاعة: هناك مكالمة تليفونية لك!

اتجه «أحمد» إلى كابينة التليفون، ثم نظر إلى الموظَّف فأشار إلى الكابينة رقم «٤»، واختفى «أحمد» داخلها، وعندما رفع السمَّاعة سمع جملةً واحدةً فقط: السيارة الصفراء أمام الباب!

وضع «أحمد» السمَّاعة وشكر الموظَّف، وعاد مُسرعًا إلى الشياطين ونقل إليهم الرسالة، فتحرَّكوا في اتجاه الباب، وكانت السماء لا تزال تَصب أمطارًا غزيرةً على المكان، في نفس الوقت الذي كان يتحرَّك فيه البعض تحت حماية المظلات، لم يكَد الشياطين يصلون إلى الباب حتى كانت سيارة «بورش» صفراء تقف أمامهم، وقفزوا داخلها وانطلقت كالصاروخ.

في منتصف الطريق إلى قلب «باريس» توقَّف السائق، ثم نزل وانحنى في أدبٍ وهو يقول: معذرةً يجب أن أنصرف الآن!

قفز «خالد» إلى عجلة القيادة، ثم انطلق إلى المقر السري في «باريس» ... التي كانت تغرق في الضوء الذي يبدو كخيوط من الفضة مع نزول المطر، وعندما دخلوا المقر السري كان جهاز الاستقبال يستقبل رسالة، فأسرع «أحمد» لالتقاطها.

كانت الرسالة من رقم «صفر»: «إن «ميمو» مُهرِّج السيرك هو نفسه «مايلز» قائد المجموعة التي قامت بسرقة الخرائط السرية. احضُروا عرض الليلة!»

نقل «أحمد» الرسالة إلى بقية الشياطين، ثم رفع سمَّاعة التليفون وطلب رقمًا سريًّا، ثم قال بسرعة: أربع تذاكر في السيرك! ولم يأتِه الرد سريعًا، ففكَّر قليلًا، ثم قال: هل تسمعني؟!

وجاءه الرد: نعم، التذاكر حُجزت الآن!

فشكره، ثم وضع السمَّاعة ونظر في ساعة يده، وقال: يجب أن نتحرَّك فورًا؛ فلم يعُد هناك وقت طويل على بداية العرض!

أسرع الشياطين بتغيير ملابسهم وأخذوا طريقهم إلى الخارج، كانوا يلبسون ملابس السهرة تمامًا كأي باريسيٍّ يخرج لقضاء سهرة طيبة، وقد تعطَّروا جيدًا، وبدت خطواتهم المتمهِّلة وكأنهم من عجائز «باريس»، ثم ركبوا «البورش» الصفراء، واتجهوا إلى حيث يقع السيرك.

كان السيرك يقع خارج العاصمة على مسيرة نصف ساعة بالسيارة، وعندما كانوا يمرون في الشوارع التي تسبح في الضوء وهم يرَون المطر وقد أصبح قليلًا الآن، كانوا يشعرون بالرغبة في الوقوف والذهاب إلى السينما؛ فقد قرأ «رشيد» إعلانًا عن فيلم «الداهية» الذي يقوم ببطولته «إدوارد روبنسون» الممثِّل الذي يُعجَب به الشياطين، إلا أن الوقت لم يكُن يسمح بشيء.

ومن بعيد ظهرت الأضواء الخارجية للسيرك؛ أضواء حمراء وصفراء وخضراء تجعل المكان كالمهرجان، فتوقَّفت «البورش» الصفراء، وأخذ الشياطين يرقبون المكان، ثم قال «أحمد»: هيَّا أيها الأصدقاء، إن لدينا موعدًا مع «ميمو».

ابتسم الشياطين، ونزلوا الواحد بعد الآخر، آخذين طريقهم إلى باب الدخول، إنه الباب الذي يدخلون منه إلى المُغامرة الجديدة.

ماذا حدث لأرقام السيارة؟!

توقَّفوا عند الباب، وهمس «خالد» مُبتسمًا: تفضَّل أيها السيد «دام رام».

ابتسم «أحمد» وقال: هل فهمتم؟

قال «قيس»: إنها الأحرف الثلاثة، مُرتَّبةً بطريقة مختلفة.

وضحكوا جميعًا.

ثم تقدَّم «خالد» من شباك التذاكر. كانت فتاة جميلة تجلس خلف الحاجز الزجاجي، فانحنى قليلًا ونظر إليها مُبتسمًا وهو يقول: هل أجد تذاكري عندك؟

نظرت له الفتاة في تساؤل، فقال: أربع تذاكر!

ردَّت الفتاة أين الـ... وقبل أن تنطق كلمةً أخرى قال بسرعة: تذاكر باسم «دام رام»!

ابتسمت الفتاة وهي تنظر في عدة تذاكر أمامها، ثم قدَّمتها إليه، فأخذها وهو يشكرها، ثم انصرف. انضمَّ إلى بقية الشياطين، وكانوا جميعًا يدورون حول الصور الكثيرة المُعلَّقة، لقد كانوا يبحثون عن صورة المُهرِّج، غير أنهم لم يجدوا صورةً واحدةً له، فالتقت أعينهم وأخذوا طريقهم إلى باب الدخول، في نفس اللحظة أُضيء المكان بلونٍ أحمر جعلهم يلتفتون إلى مصدره، كان المصدر صورةً بالحجم الطبيعي لمهرِّج السيرك، وتحتها مكتوب بالنور «ميمو»، وهمس «قيس»: ها هو صديقنا!

أخذوا طريقهم إلى الباب فقدَّموا التذاكر ودخلوا إلى الساحة الواسعة قبل الدخول إلى الصالة، وكان بعض الشبان والفتيات يقفون يأكلون السندوتشات، بينما كانت أعيُن الشياطين ترصُد المكان، حيث ارتفعت فجأةً أصوات كلاب، ثم علا زئير أسد، في نفس الوقت ظهر رجل على الباب يُمسِك ناقوسًا كبيرًا ... وضعه فوق كرسي.

فجأةً ظهر المُهرِّج، كان يقفز في حركات بهلوانية، ثم أمسك بالناقوس وأخذ يهزه، فتصدر عنه أصوات معدِنية وهو يصيح: هيَّا! هيَّا! إنَّ البرنامج سوف يبدأ! هيَّا! هيَّا!

تدافع الجميع إلى الداخل ... إلا الشياطين؛ فقد كانوا يتراجعون ويقفون في المؤخرة، لكن شيئًا فشيئًا أصبحوا أمام باب الدخول، وتلاقت أعينهم بسرعة، وفهموا ما يريدون ... فدخلوا الواحد خلف الآخر، لكن فجأةً توقَّف «أحمد» وهو يقول بصوتٍ مرتفع: آه، لقد نسيت، يجب أن أُحضر شيئًا قبل الدخول!

ثم اقترب من الرجل الواقف على الباب وابتسم قائلًا: هل أستطيع أن أخرج لدقائق؟

ابتسم الرجل وقال: طبعًا، طبعًا! وأعطاه تذكرةً صغيرة ... فخرج.

أصبح بقية الشياطين داخل خيمة السيرك، في نفس الوقت الذي ظلَّ «أحمد» خارجه، وأخذ طريقه مُبتعدًا عن السيرك حتى أصبح في مكان يسمح له برؤية المهرِّج الذي تقدَّم ووقف في الشارع يؤدِّي بعض الحركات البهلوانية ويُنادي المارة للدخول. مرت دقائق، وأخذت أعداد المارة تقل، ثم توقَّف المهرِّج فجأةً ونظر حواليه، ثم اختفى في الداخل.

ظلَّ «أحمد» مكانه يرقب ما يمكن أن يحدث، ولم يكُن هناك شيء غير عادي، إلا أن ذلك لم يجعل «أحمد» يتسرَّع، فأخذ طريقه إلى السيارة، ثم اختفى داخلها، وفكَّر قليلًا، ثم بدأ يُرسِل رسالةً إلى الشياطين داخل السيرك: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»: سوف أظل في الخارج، عليكم مراقبة الموقف في الداخل».

فجأةً لفت نظر «أحمد» خروج رجل يحمل حقيبةً سوداء، ووقف الرجل لحظة، وفي نفس الوقت كانت سيارة سوداء تقترب منه، وما إن اختفى الرجل داخل السيارة حتى انطلقت ... فأسرع «أحمد» خلفها بـ «البورش» الصفراء، وكانت السيارة أمامه بما يكفي لأن تظل في دائرة الرؤية ... أخذت السيارة طريقها إلى قلب «باريس»، وظلَّ «أحمد» يُتابعها مُفكِّرًا: هل يرسل رسالةً إلى الشياطين؟ وهل هذا الرجل هو «ميمو» المهرِّج، أو إنه رجل آخر؟ وهل هذه الحقيبة التي يحملها هي الحقيبة التي تضم الخرائط السرية؟

كانت الأسئلة تدور في رأسه دون أن يصل إلى جواب، لكنَّ ذلك لم يجعل عينَيه تبتعدان ولو للحظة واحدة عن السيارة السوداء التي أمامه. وبدأ زحام الشوارع، فضغط قدم البنزين، وارتفعت السرعة حتى أصبح خلف السيارة مباشرة، وقرأ رقمها، كان ٩٩٦٨٤٦.

ظهرت إشارة الشارع حمراء فتوقَّفت السيارات، وحاول «أحمد» أن يأخذ جانب السيارة حتى يرى الرجل، لكنه لم يستطِع أن يقف بجوارها تمامًا؛ فقد كانت بينهما سيارة أخرى، ثم تغيَّرت إشارة الشارع فانطلقت السيارات، وكان واضحًا أنه الآن يقترب من شارع «الشانزليزيه» المتسع. وتدافعت السيارات بعضها بجوار بعض حتى كاد يبتعد

عن السيارة السوداء، واضطُر أن يعود إلى نفس وضعه الأول فيسير خلفها، وعندما أصبح خلفها تمامًا أخذ يستعيد رقمها، لكن الدهشة ملأت وجهه، حتى إنه اضطرب للحظة سريعة، إن الرقم لم يكُن هو، لكن السيارة هي نفسها، وكان الرقم الجديد ٩٩٥٧٣٥، وأخذ يُفكِّر بسرعة: هل يمكن أن تُغيِّر السيارة أرقامها أوتوماتيكيًّا؟!

تأمَّل الرقم مرةً أخرى، وقال في نفسه: يجبُ أن أتبعها لبعض الوقت. إن المسألة مُثيرة فعلًا!

ظلَّ «أحمد» خلف السيارة حتى انتهى شارع «الشانزليزيه»، وبدأ شارع «سان ميشيل» الأقل اتساعًا ... فجأةً انحرفت السيارة يمينًا، فانحرف خلفها بسرعة، وارتفعت سرعة السيارة، فرفع سرعة «البورش». فجأةً اقتربت سيارة «رينو» منه، ثم أخذت تُضيِّق الطريق أمامه حتى تفصله عن السيارة السوداء، فألقى نظرةً سريعةً على رقم السيارة، كان الرقم قد تغيَّر مرةً أخرى، واستطاع «أحمد» بسرعة أن يلتقطه، كان الرقم ٩٩٤٦٢٤ ... ظلت «الرينو» تُضيِّق الطريق، وظلَّ هو مُحافظًا على سرعته خلف السيارة السوداء، وكانت الشوارع قد بدأت تخلو من المارة في هذا الوقت المبكِّر، إلا أن الشتاء كان سببًا قويًّا في أن تخلو الشوارع.

كان «أحمد» يُفكِّر بسرعة: ماذا يمكن أن يفعل الآن؟ إن «الرينو» التي تُحاول أن تضايقه يبدو أنها تابعة لهم، ويبدو أن مطاردته للسيارة السوداء قد لفتت أنظارهم. وتأكَّدت ظنونه عندما دخلت «الرينو» بين «البورش» والسيارة السوداء، ثم أخذت تُقلِّل من سرعتها فحاول «أحمد» أن يتجاوزها، إلا أن سائقها ظلَّ مُحافظًا على وجوده بينهما، في نفس الوقت كانت السيارة السوداء قد رفعت سُرعتها وبدأت تتباعد ... فجأةً توقَّفت «الرينو» حتى إن «أحمد» كاد يصطدم بها لولا أنه تدارك الموقف في آخر لحظة، فمرَّ بجانبها، لكنه لم يستطِع أن يتجاوزها؛ فقد فُتِح بابُها، ونزل منها رجل، ثم وقف مباشرةً أمام «البورش»، وابتسم الرجل في هدوء فَهِمَهُ «أحمد» جيدًا، فابتسم له، وقال الرجل: معذرة، يبدو أن الموتور أصابه عطل مفاجئ!

هزَّ «أحمد» رأسه دون أن يُجيب، لكنه كان ينتظر اللحظة التي يمر فيها ...

كان باب السيارة «الرينو» لا يزال كما هو بعد أن تركه الرجل مفتوحًا، في نفس الوقت ارتفعت أصوات السيارات التي تعطَّلت حتى أوشكت أن تَسدَّ الشارع، لم يكُن أمام «أحمد» إلا أن يدوس قدم البنزين، فانطلقت «البورش» في قوة حطَّمت باب «الرينو» تمامًا، وعندما كان الرجل يستدير ليصيح على «أحمد»، كان «أحمد» قد تجاوزه بمسافة، مُحاوِلًا اللحاق بالسيارة السوداء التي كانت قد اختفت.

ظلَّ «أحمد» يرقب السيارات المَارَّة، لكن لم تكُن السيارة السوداء بينها، فوقف في جانب الطريق، وأخذ يُفكِّر بسرعة: إن السيارة «الرينو» قد تلحق به. هذا احتمال ... أمَّا الاحتمال الآخر أن تأتيه سيارة شرطة ... لكنه استبعد الاحتمال الثاني؛ لأن العصابة لا يمكن أن تلجأ للشرطة بنفسها. وظلَّ في جانب الشارع وأخذ يستعيد شكل السيارة السوداء، إنها من نوع «الستروين» الفرنسي الحديث، في الغالب موديل هذا العام، فرشها من الداخل أسود أيضًا، تبدو في الليل وكأنها قطعة منه. استعاد أرقامها مرةً أخرى، وتذكَّر أول رقم ٩٩٦٨٤٦، ثم الثاني الذي كان ٩٩٥٧٣٥، ثم الثالث ٩٩٤٦٢٤، ولمعت في ذهنه فكرة أنَّ الأرقام تنقص واحدًا في كل مرة، والعددَين ٩٩ هما فقط الثابتان؛ أي إن الأرقام يمكن أن تتغيَّر أوتوماتيكيًّا، إمَّا إلى النقصان، وإمَّا إلى الزيادة، لكن كيف يمكن حصر الأرقام حتى يمكن حصر السيارات؟ إنها أرقام كثيرة، ممَّا يجعل ذلك أمرًا مستحيلًا. فكَّر لحظة: هل يُرسل إلى الشياطين ليعرف إن كان المهرِّج قد ظهر أمامهم.

انتظر «أحمد» قليلًا وأخذ يرقب الاتجاه الذي يمكن أن تظهر فيه «الرينو» لكنها لم تظهر، فأرسل رسالةً إلى الشياطين، وانتظر الردَّ الذي جاءه بسرعة: «إن المُهرِّج يُقدِّم نمرته الآن، وهو الذي يُقدِّم كل نمرة قبل أن تبدأ عرضها». فتوقَّف أمام الرسالة وتساءل بينه وبين نفسه: هل هذا يعني أن الرجل الذي ركِبَ «الستروين» السوداء ليس هو المُهرِّج، أو إن هناك أكثر من مُهرِّج في السيرك؟

فجأةً لفت نظره رجل في الجانب الآخر من الشارع كان يبدو أنه يرقبه، فأدار «البورش»، ثم انطلق بها، ودار دورةً كاملةً حتى يستطيع أن يعود إلى الرجل، لكنه فجأةً رأى السيارة «الرينو» واقفةً في جانب الشارع، وقد تهشَّم بابها، ولم يكُن أحد بداخلها.

بحث عن أقرب مكان يترك فيه سيارته، وعندما وجد مكانًا للانتظار أوقف «البورش» ونزل متجهًا إلى حيث تقف «الرينو»، وعندما اقترب منها كانت تستعد للانطلاق، واستطاع أن يقرأ رقمها، كان الرقم ٨٤٦، وقال في نفسه: من يدري قد يتغيَّر بعد قليل!

ظلَّ «أحمد» يرقبها وهي تتحرَّك، ومشى في هدوء خلفها، وبعد عِدَّة أمتار انحرفت يمينًا، فأسرع خلفها حتى لا تختفي، ووقف عند ناصية الشارع، بينما كانت «الرينو» قد وقفت أمام لافتة ضخمة مكتوب عليها «رينو»، فعرف أنها محطة خدمة، وأنها سوف تقوم بتغيير الباب. كانت فرصة. دخلت السيارة داخل المحطة حتى اختفت، وظلَّ في مكانه يرقبها.

فجأةً شاهد الرجل الذي نزل منها وعطَّله في شارع «سان ميشيل»، فتشاغل عنه مبتعدًا قليلًا حتى لا يراه ...

كان الرجل يمشي في اتجاهه، فقطع «أحمد» الشارع عرضًا، ثم أخذ اتجاهًا مُعَاكسًا، وكان واضحًا أن الرجل لم يرَه.

التفت «أحمد» وتتبَّعه عن بُعد، كان الرجل يتجه إلى مخزن للسجائر وقف عنده قليلًا، ثم تحرَّك، ظلَّ «أحمد» يرقبه ...

اقترب الرجل من تليفون عمومي واختفى داخله دقيقة، ثم خرج، فوقف على رصيف الشارع، ففكَّر «أحمد»: لا بد أنه في انتظار أحد، ينبغي أن أتحرَّك بسرعة.

أسرع بالعودة إلى حيث تقف «البورش» فركبها وعاد بسرعة، وكان الرجل لا يزال يقف في مكانه، ففكَّر «أحمد»: إن الرجل يعرف «البورش» الصفراء. يجب أن أظلَّ بعيدًا حتى لا ألفت نظره.

دخل «أحمد» في أحد الشوارع الجانبية، ثم توقَّف، في نفس الوقت أعطى نفسه فرصة المراقبة، ومرَّت دقائق سريعة، ثم فجأةً ظهر ما لم يكُن يتوقَّعه.

مكالمة ... من خلال الحائط

كانت السيارة «الستروين» السوداء تقترب بسُرعة حيث يقف الرجل، فأدار «البورش»، ثم أسرع في اتجاهها، وتوقَّفت «الستروين» أمام الرجل فقفز داخلها، وعندما انطلقت كان «أحمد» قد جعلها تحت مراقبته، في نفس اللحظة فكَّر بسرعة: إنه قد يتعرَّض لصدام جديد، أو قد تختفي «الستروين» ويجب أن يتصرَّف؛ حتى لا تُفلت منه مرةً أخرى!

رصد رقم السيارة، ثم ابتسم، لقد كان الرقم الأول: ٩٩٦٨٤٦. أخرج فراشةً إليكترونيةً من جيبه، فراشةً في حجم النصف قرش، ثم أطلقها في الهواء وطارت الفراشة، وعندما كان يتتبَّعها بعينَيه اختفت؛ فقد كانت شفافةً بما يكفي لأن تختفي، إلا أن الإشارات التي كانت تُرْسلها كانت تظهر من خلال جهاز الراديو في السيارة، لقد كانت تُعطي صفارةً مُتقطِّعة، وهَزَّ «أحمد» رأسه وقال: لا بأس، إن «الستروين» لن تهرب مرةً أخرى.

ظلَّ خلف السيارة التي بدأت تدخل مناطق مُزدحمة بالبيوت، حتى إنه بدأ يشعر بالضيق، بجوار أن المطاردة بهذه الطريقة غير مجدية، الآن على الأقل، إن عليه أن يعود بسرعة إلى السيرك حيث الشياطين، وحتى يعرف إن كان المهرِّج موجودًا، أو غير موجود.

دار بسرعة وأخذ طريقه إلى السيرك، وأضاء جهاز الاستقبال في السيارة، وبدأ يتلقَّى رسالة، كانت من الشياطين: «لقد ظهر المُهرِّج، وأوشك البرنامج أن ينتهي». فضغط البنزين أكثر، فانطلقت «البورش» كالصاروخ، وأرسل رسالةً سريعة: «إنني في الطريق، سوف أبقى في الخارج».

وعندما كان المُتفرِّجون يُغادرون أماكنهم، كانت «البورش» تقف بعيدًا قليلًا عن باب الخروج، وعندما رأى «أحمد» الشياطين تقدَّم بالسيارة قليلًا فاتجهوا إليه، ودخلوا الواحد بعد الآخر، وسأل «خالد»: لماذا لم تحضر البرنامج؟!

قال «رشيد»: يجب أن تُشاهده، إنه برنامج مثير!

فسأل «أحمد»: هل أنتم مُتأكِّدون أن المهرِّج الذي ظهر هو نفسه المهرِّج الذي رأيناه يدق الناقوس؟!

التقت أعين الشياطين. أخذ كلٌّ منهم يستعيد صورة المُهرِّج، ومرَّت دقيقتان دون أن يُجيب أحد على السؤال؛ فقد كان سؤالًا مفاجئًا، وقال «قيس»: إنه كان يلبس نفس القناع!

وقال «رشيد»: أظن أنه كان أنحف قليلًا من الآخر.

وقال «خالد»: لاحِظَا أن اثنَين من المهرِّجين قد ظهرا!

مرَّت لحظة صمت قال «أحمد» في نهايتها: إن المُهرِّج الذي رأيناه أمام السيرك لم يظهر أمامكم لأنه غادر السيرك فعلًا قبل بداية البرنامج!

نظر الشياطين إليه في تساؤل، إلا أنه لم يُجِب مُباشرة، لقد رفع سرعة السيارة في طريقه إلى المقر السري، وهناك شرح «أحمد» لهم كل شيء منذ أن غادر السيرك حتى عاد إليه.

سأل «رشيد»: والآن، ماذا يجب أن نفعل؟

قال «أحمد»: لقد أتيت لكم من أجل هذا!

أخرج جهاز الاستقبال الصغير الذي يحمله، ثم ضغط على زرٍّ فيه، فبدأت الصفارة المتقطِّعة، سأل «قيس»: هل نظل هكذا!

قال «خالد»: يجبُ أن نتحرَّك فورًا؛ إن المسألة كما قال رقم «صفر» مسألة وقت!

قال «أحمد»: يجب أن ينطلق اثنان منَّا إلى حيث توجد السيارة ... في نفس الوقت يظل اثنان هنا استعدادًا لحدوث أي شيء!

عندما وافق الشياطين على ذلك قفز «أحمد» ومعه «خالد» في طريقهما إلى الخارج، وقال «أحمد» بسرعة: يجبُ أن نستبدل «البورش»، إننا في حاجة إلى سيارة غيرها؛ فقد أصبحت معروفة.

ثم عاد بسرعة ورفع سَمَّاعة التليفون، ثم أدار القرص، ومضت لحظة، ثم بدأ يتكلَّم: إننا في حاجة إلى سيارة. نعم، عند النقطة «هـ». تحياتي! ووضع السمَّاعة، ثم انضمَّ إلى «خالد» وانصرفا.

في الشارع قال «خالد»: هل تأخَّر الوقت؟

نظر «أحمد» في ساعة يده وقال: ليس بعد، إن المغامرة لا ترتبط بوقت.

هزَّ «خالد» رأسه ولم يُجِب، وظلَّا سائرَين. كان الأسفلت يلمع بعد أن غسله المطر، وكانت السماء صافيةً الآن بعد أن توقَّف المطر منذ أكثر من ساعة، وكانت برودة الجو

مُحتمَلةً تلذع وجهَيهما، لكنهما لم يكونا يشعران بالبرد؛ فالمشي جعلهما أقرب إلى الدفء. أخذا طريقهما إلى النقطة «هـ» التي حدَّدها «أحمد»، وعندما اقتربا منها كانت سيارة زرقاء تقف بجوار الرصيف.

قال «خالد»: هذه سيارتنا!

هَزَّ «أحمد» رأسه، ثم اتجها إليها، فجلس «أحمد» إلى عجلة القيادة، وجلس «خالد» بجواره. ضغط على زرٍّ في تابلوه السيارة، فبدأ جهاز الراديو يستقبل الصفارة المتقطِّعة. كان هناك نوع من التشويش على الصفارة، وظلَّ «خالد» يحرِّك المؤشِّر حتى جاءت الصفارة واضحةً تمامًا. في نفس الوقت تحرَّك مُؤشِّر البوصلة أمام «أحمد» يُحدِّد مكان السيارة. ظلَّا في تقدُّمهما حتى ظهرت حديقة ذات سور مرتفع، وكانت الأضواء تتركَّز في بقعة مُحدَّدة في وسطها، لم يكُن يظهر شيء من خلال السور. كانت الأضواء تلمع في الفضاء.

توقَّف «أحمد» وهو يقول: ها هي «الستروين» السوداء، إنها تقف أمام الباب! كان الصمت يُخيِّم على المكان، فهمس «أحمد»: سوف أُضيء نور السيارة للحظة سريعة، فاقرأ رقمها!

ضغط زر الإضاءة، ثم أطفأه بسرعة، فقال «خالد»: نعم كما قلت ٩٩٦٨٤٦!

فقال «أحمد»: إنه أول رقم قرأته، سوف أنتظر قليلًا وأُضيء لك إضاءةً سريعة حتى تقرأ الرقم الجديد!

انتظر قليلًا، ثم أضاء فقرأ «خالد»: ٩٩٥٧٣٥!

قال «أحمد»: بالضبط، لقد تحرَّك الرقم، لا بد أن موتور السيارة مستمر في عمله!

مرَّت لحظات صامتة قال «أحمد» في نهايتها: ينبغي أن ندخل بأية طريقة!

«خالد»: هل ندور حول المكان دروة؛ لعلنا نجد مكانًا؟

تحرَّك «أحمد» بالسيارة حتى تجاوز «الستروين»، فقال «خالد»: نعم، إن الموتور دائر!

دارا حول المكان. كانت الحديقة تشمل مساحةً واسعة، والسور لا يتغيَّر في أي مكان، إنه مرتفع في كل الأمكنة، فقال «أحمد»: ينبغي أن نترك السيارة بعيدًا، ثم نقفز من فوق السور، إنها الطريقة الوحيدة.

ابتعدا بالسيارة، ثم تركاها وترجَّلا في هدوء. لم يكُن هناك أي صوت، كل شيءٍ هادئ. اقتربا من السور. كان مرتفعًا بما يكفي، وظلَّ «أحمد» يتأمَّله لحظة، ثم قال في همس: إنه يحتاج إلى قفزة القرد! ثم تراجع إلى الخلف عدة أمتار، ثم أسرع جريًا، حتى إذا وصل إلى

السور وقفز إلى أعلى كأنه الكرة، وقبل أن يعود إلى الأرض، كانت أصابعه تُمسك في قمة السور، وفي هدوءٍ كان يجلس فوقه. في نفس اللحظة كان «خالد» يفعل نفس الشيء، ثم أصبح يجلس بجواره، وفي هدوء أيضًا نزلا من السور إلى الحديقة.

وفجأةً تعالت صيحات الكلاب، فهمس «أحمد»: أطلِق الغاز بسرعة!

أخرج «خالد» أنبوبةً صغيرة، ثم فتحها لحظة، وأغلقها بسرعة، فأخذ صوت الكلاب يخفت، وهمس «خالد»: لقد اختفت رائحتنا!

تقدَّما في هدوء ... ومن بين الأشجار ظهرت الفيلا هناك. كانت فيلا ضخمةً تصدر عنها أضواء قوية من إحدى نوافذها، في حين كانت الإضاءة الأخرى خافتةً نوعًا ما، وكانت رائحة الورود تملأ المكان، وروائح كثيرة مختلفة. تقدَّما أكثر، لم يكُن هناك ما يلفت النظر، كانت تبدو وكأنها مسكن لعائلة قديمة تقضي ليلةً شتويةً أمام التليفزيون، أو أمام المدفأة.

همس «أحمد»: يجب أن نحذر أجهزة الإنذار!

ولم يكَد ينتهي من جملته حتى فتح باب الفيلا، وظهر عدة رجال كانوا يقفون في الضوء فتظهر تفاصيلهم، وكان يبدو عليهم الاهتمام، سمع «أحمد»: لقد أضاءت أجهزة الإنذار! فنظر إلى «خالد»، ثم أسرعا بالاقتراب منهم أكثر، كانت النباتات كثيفةً بدرجة تجعلهما يتحرَّكان بسهولة.

اقترب الرجال أكثر، وظهرت عدة كلاب، كانت تُزمجر وتنبح، فجأةً ظهر ما لم يكُن يتوقَّعه «أحمد»؛ لقد ظهر الرجل الذي خرج من السيرك وركب «الستروين» السوداء، والذي ظن «أحمد» أنه «ميمو». وقال الرجل بصوت خشن: يجب تمشيط الحديقة جيدًا؛ إن هناك أحدًا!

انتشر الرجال والكلاب في الحديقة، في نفس الوقت كان «أحمد» و«خالد» يقبعان بين أفرُع النباتات المُتسلِّقة، ملتصقَين بجدار الفيلا، فأصبحوا أقرب ممَّا يتصوَّر أفراد العصابة، حتى إنهما كانا يسمعان كل كلمة بوضوح تام.

قال رجل: يبدو أن شدة المطر قد أثَّرت على الأجهزة يا مستر «مايلز»!

وبرقت عينا «أحمد» وهو يمسك يد «خالد» ليُحدِّثه بلغة الأيدي: «مايلز»! إنه «ميمو» كما توقَّعت!

قال «مايلز» بصوته الخشن: لا أظن، إنني ما زلتُ أشك في الشاب سائق «البورش» الصفراء!

ردَّ الرجل: وكيف يصل إلى هنا، لقد عطلناه حتى اختفيت؟

صرخ «مايلز»: يجب العثور على تلك السيارة الليلة!

اختفى «مايلز»، وسمع «أحمد» و«خالد» أصواتًا لم يُميِّزاها، كانت تعني الغضب. وبلغة الأيدي قال «خالد»: يجب إخفاء «البورش» الآن حالًا!

ولم يكَد ينتهي من كلماته حتى سمعا صوت سيارة تنطلق في سرعة، وقال «أحمد»: لقد بدأ البحث عن «البورش»! ثم أخرج جهاز الإرسال، ثم أرسل رسالةً إلى الشياطين في المقر السري: «يجب إخفاء «البورش» حالًا!»

وجاءه الرد بسرعة: دعهم يأتون!

كانت أصوات الكلاب فقط هي المسموعة الآن، فأخرج «أحمد» جهاز التنصُّت الدقيق من جيبه، وألصق سمَّاعته بجدار الفيلا، ثم وضع السمَّاعة في أذنه، وبدأ يسمع ما يدور داخل الفيلا، كان ما يسمعه خليطًا لكل ما يقال داخلها:

صوت: العشاء بعد عشر دقائق!

صوت: سوف ينصرف بعده مباشرة.

صوت: سيارة أخرى سوف تحضر.

صوت «مايلز»: لا يجب أن تبقى هنا الليلة، يجب أن تبيت في مكان آخر!

صوت يسأل: هل نخرج الليلة، أو غدًا؟

مايلز بعد فترة: نحتاج بعض الوقت، إن كل المنافذ مراقبة ولا نضمن!

صوت: يجب الكشف على أجهزة الإنذار!

صوت: المطر له تأثير!

صوت: حراسة مُشدَّدة!

بعدها سمع صوت رنين جرس تليفون، وخطوات سريعةً تقترب، ثم محادثة تليفونية استطاع «أحمد» أن يسمعها كاملةً من طرفَيها، وهذه هي المحادثة التي كان يسمعها:

صوت: ألو، إنني أتحدَّث من نقطة ٩.

الرد: ماذا فعلتم؟

صوت: إن عشر سيارات قد خرجت الآن للبحث عن «البورش» الصفراء، غير أن المسألة تحتاج إلى وقت!

الرد: المهم هو العثور عليها ... وعلى صاحبها. إن مستر «مايلز» ثائر جدًّا!

صوت: سوف ينتهي كل شيء على ما يرام!

الرد: هل أُبلغه شيئًا؟

صوت: لا شيء الآن!

ثم سمع صوت وضع السماعتَين، ثم صوت أقدام ... بعدها جاء صوت «مايلز» يقول: الليلة، الليلة يجب أن تكون هنا!

فسمع أصوات أقدام كثيرة تتجه معًا، ثم تهدأ الأقدام، ويبدأ صوت الملاعق والشوك.

أخيرًا همس «أحمد» لـ «خالد»: إنهم يأخذون عشاءهم، أعتقد أنهم لن يتحرَّكوا الليلة من هنا، ونحن نُريد الحقيبة على الأقل قبل أن يتحرَّكوا بها.

خالد: هل تعتقد ذلك؟

أحمد: نعم وفكَّر قليلًا، ثم قال: إن الرد الذي جاء من الشياطين كان مُبهمًا لم أفكِّر فيه جيدًا.

خالد: ماذا كان؟

أحمد: دعهم يأتون! وصمت قليلًا، ثم همس: هل يفعلها «قيس»؟!

ابتسم «خالد» وهو يقول: أعتقد أنه سوف يفعلها!

لم يكَد ينتهي «خالد» من جملته، حتى سمع «أحمد» صوت رنين جرس تليفون، وخطوات تُسرع إليه، ثم تُرفع السماعة، ثم تبدأ المحادثة، كان يسمع، وفجأةً اتسعت عيناه، وظهرت على وجهه الدهشة.

همس «خالد»: ماذا هناك؟

أعطاه «أحمد» السمَّاعة فوضعها في أذنه، واستمع، وعلت الدهشة وجهه هو الآخر، لقد سمعا شيئًا مذهلًا فعلًا!

ساعة المواجهة ... الحرجة

عندما انتهت المُكالمة ووُضعت السماعة تحرَّكت أقدام بسرعة مع صوت ملاعق وشوك، ثم صوت يقول: إنهم في الطريق يا سيدي! لحظة، ثم دوَّت ضحكة وجاء صوت «مايلز» يقول: لقد كنت أعرف أن هذه ليست مسألةً صعبةً أمام «هندي»!

قال صوت نسائي: هل تراه الليلة؟

مايلز: نعم يا عزيزتي «ريتا». أُريد فقط أن أطمئن؛ فقد تكون المسألة مُجرَّد شك!

أبعد «خالد» السمَّاعة عن أذنه، وتعلَّقت أعينهما بباب الفيلا الحديدي الضخم، الذي يبدو وكأنه باب سجن.

كانت الحركة قد هدأت تمامًا، ولم يكُن هناك أي صوت، ولا صوت الكلاب، فجأةً أحسَّ «أحمد» بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالة، وكانت: «لقد انطلق «س» في «البورش» إلى العرين». ونقل الرسالة إلى «خالد» الذي قال: كما توقَّعت!

قال «أحمد»: إنها فرصة على كل حال.

ظلَّا في مكانهما، وفجأةً ظهر أمامهما «مايلز». كان مُتوسِّط الحجم كما ظهر أمام السيرك، لكنه كان طيب الملامح، هادئًا، وقال مُبتسمًا: لا أظن أنه يُشكِّل خطرًا ما.

ردَّت «ريتا» التي كانت تقف بجواره: لا أظن.

اقترب صوت سيارة، ثم توقَّفت. فُتح الباب الحديدي وظهرت «البورش» الصفراء، ودخلت من الباب. كان بداخلها «قيس» يجلس هادئًا مُبتسمًا، وعندما أصبحت بكاملها داخل الحديقة ظهر خلفها أربعة رجال، قال «مايلز» عندما رآهم: شكرًا يا «هندي». سوف أنقُل ذلك للزعيم.

أُغلق باب الحديقة، وكانت «البورش» قد وقفت قريبًا من باب الفيلا، ونزل «قيس» في هدوء وقال: مساء الخير يا سيدي!

قال «مايلز» في هدوء مُبتسمًا: مساء الخير!

صعد «قيس» الدرجات القليلة إلى حيث يقف «مايلز» و«ريتا»، وعندما وقف أمامهما تمامًا ... قال: إنني تحت أمرك يا سيدي، إنني أستطيع أن أذهب إلى أي مكان، وأن أقوم بأي شيء. المسألة تخضع للأتعاب. فنظر له «مايلز» قليلًا، وكان «هندي» قد انضمَّ إليهم. تحرَّك «مايلز» ودخل الفيلا، فتحرَّكوا جميعًا خلفه حتى اختفوا في الداخل.

نظر «خالد» إلى «أحمد» وهمس: إنه يُجيد دوره تمامًا! ووضع السمَّاعة في أذنه، وبدأ يستمع إلى ما يدور من حوار في الداخل. كان الحوار قريبًا جدًّا، حتى إن «خالد» همس لـ «أحمد»: إنهم في الحجرة المجاورة.

ثم جاء الحوار:

مايلز: وماذا تعمل؟

قيس: إنني أشترك في سباق السيارات لأنني أهوى السباق، في نفس الوقت يمكن أن أقوم بمهام صعبة إذا توفَّرت، ثم ضحك.

مايلز: هل قمت بمهمة قبل ذلك؟

قيس: نعم، إلى ألمانيا.

مايلز: بنفس السيارة؟

قيس: نعم، إنني أركب الريح.

ظهرت الدهشة في صوت «مايلز»: نُسافر بالطائرة إذن!

ضحك «قيس» وقال: لا يا سيدي، إنني أُسمِّي سيارتي الريح؛ لأنه لا يستطيع أحد اللحاق بها.

قال «مايلز» الذي أطلق ضحكةً خشنة: سوف تنزل ضيفًا عندنا الليلة، وغدًا في الصباح سوف تبدأ رحلة إلى إيطاليا!

قال «قيس» بعد قليل: هذا يخضع للأجر يا سيدي!

مايلز: سوف نُعطيك ما تطلبه.

قيس: نتفق.

سأل «مايلز» بعد لحظة صمت: كم تريد؟

قيس: هذا يتوقَّف على الذي أحمله.

سمع «خالد» صوت «مايلز» كأنه الصراخ: وماذا يعنيك؟ سوف نعطيك ما تطلب؟

همس «خالد»: إنه رائع! وقدَّم السماعة لـ «أحمد» الذي أخذها بسرعة ووضعها في أذنه، ثم أخذ يسمع.

قيس: يا سيدي، الأجر يخضع لقيمة ما أحمله!

مايلز: سوف تحمل رجلًا، وحقيبة!

قيس: أيهما الأهم، الرجل أم الحقيبة؟

ضحك «مايلز» ضحكةً خشنة، ثم قال: إنك شاب مثير، ماذا تعمل؟

قيس: كما ترى يا سيدي، أعمل بحرية.

مايلز: وحدك؟

قيس: نعم.

مايلز: إذن سوف أُعطيك ألف دولار!

قيس: إنه رجلٌ رخيص الثمن!

ضحك «مايلز» طويلًا، ثم فجأةً قال: أين «ماك»؟

ردَّ صوت: إنه لم يعُد بعدُ يا سيدي.

مايلز: إذن عليه أن يستعد حتى يرحل غدًا!

مرَّت لحظة صمت، ثم قال: السيد «روبين» ضيفنا الليلة ... فلينزل في جناح الضيوف.

ومرَّت لحظة صمت أخرى، قال بعدها «مايلز»: سوف أمنحك ما تطلبه يا سيد «روبين»، فقط عليك بأن تُحَافظ على الرجل، والحقيبة!

قيس: كما تشاء يا سيدي.

تحرَّكت أقدام كثيرة، ولم يعُد يُسمع غيرها، وهمس «أحمد»: هناك مسألة خطيرة.

خالد: ما هي؟

أحمد: المؤكَّد أن «قيس» لم يُقابل الرجل الذي كان يركب «الرينو» لأنه يعرفني، فإذا التقى هو و«قيس» فسوف يكون في موقف صعب!

لم يردَّ «خالد»، وفكَّر «أحمد» بسرعة: إن المسألة تحتاج إلى تدبير سريع. إذا كانت الصدفة قد خدمت «قيس» حتى هذه اللحظة، فإن أحدًا لا يدري ماذا يمكن أن يحدث؟

ظلَّ «أحمد» و«خالد» في مكانهما لا يتحرَّكان؛ فقد كانا يُفكِّران في خطة ما لإنقاذ «قيس». وفي نفس الوقت الوصول إلى الحقيبة. وهمس «خالد»: ينبغي أن نعرف أين ينزل «مايلز»، وأين يوجد «قيس».

قال «أحمد»: نحتاج إلى دورة حول الفيلا، حتى نرصد الحجرات كلها.

اتجه «أحمد» إلى اليمين، واتجه «خالد» إلى الشمال، على أن يلتقيا في نقطة خلف الفيلا. ما إن تقدَّم «أحمد» حتى عرف أن هناك رسالةً ما، فأخرج جهاز الاستقبال الصغير، ثم بدأ يتلقَّى الرسالة، وكانت من «قيس»: «إنني في ملتقى النقطتَين «س، ق» ... عند الزاوية ٩٠». في نفس الوقت تلقَّى «خالد» نفس الرسالة، فتحدَّث «أحمد» و«خالد»، وأجَّلا الحوار إلى وقت اللقاء، ثم استمرَّ «أحمد» في طريقه إلى حيث النقطة خلف الفيلا، وكانت هي أقرب نقطة للمكان الذي حدَّده «قيس».

كانت السَّاعة قد جاوزت منتصف الليل، وبدا كل شيء هادئًا تمامًا. وخفتت الأضواء في الفيلا. مرَّت نصف ساعة قبل أن يلتقي «خالد» و«أحمد»، وكان المكان الذي التقيا فيه آمنًا.

همس «أحمد»: إنها فرصتنا لندبِّر المسألة. يُمكن أن نُشرك «قيس» فهو في الانتظار.

أرسل «أحمد» رسالةً إلى «قيس»: «كيف ترى الموقف عندك؟»

وجاءه الرد: «يجب الاستمرار فيه حتى النهاية». ثم أخذا يتبادلان الرَّسائل، وفيها شرح «أحمد» لـ «قيس» خوفه من أن يشك فيه الرجل الذي كان يركب «الرينو»، وكان ردُّ «قيس» أن أحدًا لم يشكَّ فيه حتى الآن. ثم طلب «قيس» أوصاف الرجل حتى يعرفه، وقال «أحمد» أوصافه: رشيق القوام، مفتول العضلات، في حدود الأربعين من عمره، له شارب أصفر كثيف، ولحية صغيرة.

فسأل «أحمد» أخيرًا: هل نقوم بهجوم؟

أجاب «قيس»: لا أظن أننا لم نُحدِّد مكان الحقيبة بعد، يجب الانتظار حتى الصباح!

نقل «أحمد» الرسائل إلى «خالد» الذي قال: إمَّا أن نبيت هنا، أو ننصرف ونلحق به في الصباح!

فكَّر «أحمد» قليلًا، ثم قال: إذن سنبقى هنا.

وأرسل «أحمد» رسالةً إلى «قيس» أخبره فيها أنهما سيكونان في الحديقة. في نفس الوقت أرسل «أحمد» رسالةً أخرى إلى «رشيد» شرح له فيها كل ما حدث، وطلب أن يُرسل ذلك إلى رقم «صفر»، وأن يكون مُستعدًّا للانضمام إليهم في أية لحظة ...

ابتعد الاثنان عن الفيلا، وتوغَّلا بين نباتات الحديقة بحثًا عن مأوًى لهما، وكانت النباتات كثيفةً بما يكفي. همس «خالد»: إننا أمام بيت النباتات، ويمكن أن يكون مكانًا جيدًا للمبيت.

قال «أحمد»: إن المكان عُرضة لوصول أي إنسان. يجب أن نبتعد عنه.

تقدَّما قليلًا داخل مجموعة من أشجار الياسمين تمثِّل غابةً صغيرة، دخلا بينها لكنهما لم يستطيعا الاستمرار؛ لقد كانت الأرض الطينية طريةً تمامًا من أثر شتاء النهار، فتراجعا، ثم الْتزما بإحدى طرقات الحديقة التي تُغطِّيها الحصى، والتي كانت أكثر جفافًا من غيرها. وعند نهاية الطريق كانت تقف شجرة مانجو ضخمة، فاستندا إليها، كانا يشعران بالتعب، وهمس «خالد»: استرِح قليلًا، وسوف أوقظك!

قال «أحمد» بعد لحظة: يجب أن نرتاح نحن الاثنَين! وأرسل رسالةً إلى «رشيد» أخبره فيها أن يوقظهما إذا تلقَّى رسالةً من «قيس»، وحدَّد له الموجة التي يُرسل عليها «قيس» رسائل إليهما. ولم تمضِ دقائق حتى كانا الاثنان قد استغرقا في النوم وهما جالسَين. إن الشياطين يستطيعون استغلال كل لحظة تحت أية ظروف.

وعندما كانت الساعة تَدُقُّ السابعة صباحًا، كانت أقدام قد اقتربت من الحجرة التي ينام فيها «قيس» لتوقظه، وعندما أجاب عليها أسرع بإرسال رسالة إلى «أحمد» تلقَّاها «رشيد»، ثم أسرع بإرسالها إلى «أحمد» الذي استيقظ لتوِّه بعد أن ارتفعت درجة حرارة جهاز الاستقبال.

كانت شمس الصباح تُنذر بيوم ربيعي. هزَّ «أحمد» «خالد» الذي استيقظ بسرعة، لم تكُن الفيلا تظهر أمامهما نتيجة كثافة النباتات ... تقدَّما في هدوء حتى بدأت الفيلا تظهر.

قال «خالد»: لماذا لا نُغادر المكان ونبقى قريبًا من الفيلا؟

أجاب «أحمد»: أخشى أن ينكشف أمر «قيس»؛ ولهذا يجبُ أن نكون أقرب إليه من أي إنسان آخر!

ظلَّا يرصدان حركة الفيلا، كان بعض الخدم قد ظهروا أمام الباب الذي فُتح، ولم تمضِ دقائق حتى فُتح الباب الحديدي الخارجي الضخم، ودخلت منه السيارة «الرينو»، شاهد «أحمد» السيارة فقال: انظر هذه هي، إن سائقها هو نفسه الرجل الذي قابلني بالأمس!

تقدَّمت السيارة حتى وقفت خلف «البورش» الصفراء، لحظة ثم نزل منها الرجل الرشيق المفتول العضلات، فوقف يرقب «البورش» قليلًا وعلى وجهه ابتسامة هادئة، فهمس «أحمد»: إننا نقترب من لحظة حرجة!

تقدَّم الرجل من باب الفيلا، في نفس الوقت الذي اقترب منه رجل يقول: إن مستر «مايلز» في انتظارك أيها السيد «ماك»!

عرف «أحمد» و«خالد» أن «ماك» هو نفسه من كان يعنيه «مايلز» أمس، ويبدو أنه الرجل الذي سيصحب «قيس» في الرحلة.

اختفى «ماك» داخل الفيلا، فأرسل «أحمد» رسالةً إلى «قيس»: «ما هو الموقف الآن؟» وظلَّ ينتظر الرد، لكن لم تصِله كلمة واحدة، فعرف أن «قيس» في موقف لا يسمح له بالرد.

فجأةً ظهر «مايلز» ومعه «ماك». كانا صامتَين، وكان التفكير العميق يبدو على «ماك»، وسمع «أحمد» و«خالد» ذلك الحوار الذي دار بين الاثنَين:

مايلز: هل أنت متأكِّد؟

ماك: نعم. إنني متأكِّد. لقد كان قريبًا بما يكفي لأن أراه جيدًا!

مايلز: حاوِل أن تتذكَّر جيدًا؛ إن قرارك سوف تترتَّب عليه أشياء كثيرة.

ماك: حاول أن تتصوَّر معي، كنت أقف بـ «الرينو» أمام «البورش»! وأشار بأصبعه إلى السيارتَين الواقفتَين، ثم أضاف: كانت «الرينو» في الأمام وليس «البورش»، ونزلت من السيارة ووقفت أتحدَّث إليه، فهل أراه جيدًا!

مايلز: بالتأكيد!

ماك: ثم مرَّت دقيقتان أو أكثر قبل أن يتراجع قليلًا بسيارته، ثم انطلق وحطَّم الباب الأيمن، ألَا يكفي هذا لأن أراه جيدًا!

أسرع «أحمد» فأرسل رسالةً إلى «قيس»، أخبره فيها بكل هذه التفاصيل التي قالها «ماك»؛ فقد توقَّع أن يسأله «مايلز» حتى يصف له تلك الدقائق.

قال «مايلز»: علينا أن نختبره إذن حتى نتأكَّد قبل أن تتخذ أي إجراء.

اختفى الاثنان داخل الفيلا، وغابا. كانت لحظةً مشحونةً بالقلق. مرَّت الدقائق ثقيلة، وكانت أعين الشياطين مثبتة على باب الفيلا. فجأة ... ظهر «قيس» وخلفه ظهر «مايلز»، و«ماك» ... ففهم «أحمد» أن «قيس» قد خرج بهما حتى يكون في موقف أحسن؛ ولهذا ... انتظر هو و«خالد» تصرُّف «قيس»؛ فإن تصرُّفه يمكن أن يكون بداية النهاية.

«قيس» ... يُصبح ممثِّلًا

شاهد الاثنان «قيس» وهو يبتسم منحنيًا، ثم يقول: إنني أعتذر يا سيدي، لقد كنتُ ضيِّق الصدر. ثم نزل بسرعة في اتجاه الباب الأيمن الأمامي، ثم فتحه وظلَّ يتأمَّله، ثم نظر إلى حيث يقف «مايلز» و«ماك»، ثم قال: من حقك يا سيدي أن تحصل على مقابل للباب الجديد! وعاد إليهما، وكانا ينظران إليه بإمعانٍ شديد، فقال «قيس» وهو يميل قليلًا ناحية «مايلز»، وفي نفس الوقت حتى يسمع «ماك»: صدِّقني يا سيدي، لقد كانت مسألةً مثيرةً جدًّا ... غير أن السيد «ماك» حرمني منها تمامًا. إن هذه أول مرة في حياتي! ونظر إليهما قليلًا، ثم قال: إنني أُحاول أن أتذكَّر. نعم. لقد كان الرقم الأول ٩٩٦٨٤٦. هذه مسألة عادية أن تقرأ رقم سيارة، لكني بعد لحظة رأيت الأرقام تتغيَّر، وبرقت عيناه، كان يمثِّل دورًا جيدًا ويتقنه، ثم أكمل: صدِّقني يا سيدي لقد رأيت الأرقام تتغيَّر، فقلت في نفسي: هذه سيارة نادرة، إنها «ستروين» حديثة، نعم. وفكَّرت لعل بداخلها شخصيةً أسطورية! ثم نظر إلى «مايلز» في بلاهة وقال: من هذه الشخصية الأسطورية يا سيدي التي تملك هذه السيارة؟

ابتسم «مايلز»، ثم نظر إلى «ماك» الذي هزَّ رأسه وتنهَّد وكأنه لا يُصدِّق ما يراه. اقترب «قيس» من «ماك»، ثم قال: هل تشك في صدق كلامي يا سيدي؟ إذن دعني أتذكَّر ما حدث تمامًا منذ أن رأيت هذه السيارة الأسطورة.

كان «أحمد» و«خالد» يتابعانه وهما لا يُصدِّقان تلك الحالة التي تسيطر على «قيس»، حتى إنه اندمج في التمثيل. كان «قيس» يُمثِّل أنه يتذكَّر، ونظر إلى «ماك» وقال: دعني أتذكَّر ما حدث. رأيتُ السيارة الأسطورة، في البداية كنت أُسير خلفها بطريقة عادية كأي سيارتَين، فجأةً قرأت رقمها، فجأةً تغيَّر الرقم، قلت في نفسي: هل فقدتَ صوابك، أو إنك

تحتاج إلى نظارة؟! قلت لعلني نسيت، لكنني ظَلِلت أتبعها. تغيَّر الرقم. نعم، إنني أذكره. لقد كان ٩٩٥٧٣٥ أليس كذلك؟ ... ظَلِلت أتبعها حتى أتأكَّد إن كنتُ مُصيبًا في تغيير الرقم أم لا. ومرةً أخرى تغيَّر! إنني أذكره. نعم. لقد نقص واحدًا في كل رقم. أصبح ٩٩٤٦٢٤. أليس كذلك؟ ... نظر إلى «مايلز»، ثم قال: أليست مسألةً مثيرةً يا سيدي؟!

كان «ماك» يتابع ما يقوله «قيس» في دهشة، إلا أن «قيس» لم يتوقَّف، لقد أكمل: فجأةً ظهرت «الرينو». لقد كنت أنت يا سيد «ماك». بدأتَ تقطع عليَّ الطريق. أقول لك الحقيقة، لقد أثارني ذلك جدًّا، حتى إنني فقدت صوابي، وارتكبت تلك الحماقة، فأصبت الباب الأيمن لسيارتك العزيزة، إنني أكرِّر اعتذاري يا سيدي، وأرجو أن تقبله، أو تقبل عوضًا عن الباب!

فجأةً انفجر «ماك» ضاحكًا وهو يقول: إنك إنسان رائع، وأعتقد أننا سنقضي رحلةً طيبة!

راقب «مايلز» ذلك في هدوء، ثم قال: هيا إذن إلى الداخل، إن عليكما أن تنطلقا في خلال ساعة.

اختفَوا جميعًا داخل الفيلا، وهمس «أحمد»: لقد نجح في خداعهما، علينا أن ننتظر ما سيحدث بعد ذلك. انسحبا بعيدًا عن الفيلا أكثر، وإن ظلَّت في مدى البصر، وفجأةً وصلت رسالة كانت من «قيس»: «سنتحرَّك بعد قليل. استعدا!»

نقل «أحمد» الرسالة إلى «خالد»، ثم أخذا طريقهما مبتعدَين إلى أقصى الحديقة حيث لا يوجد أحد، وفي لمح البصر كانا يتسلَّقان شجرةً قريبةً من السور، وعن طريقها، أصبحا خارج الحديقة، فمشيا في هدوء إلى حيث تُوجد سيارتهما الزرقاء، وركباها بسُرعة، ثم أسرعا يمرَّان قريبًا من باب الفيلا، وفي نفس الوقت كانت «الستروين» السوداء تخرج، وخلفها «البورش» الصفراء يقودها «قيس». اتجهت السيارتان إلى قلب «باريس»، فأرسل «أحمد» رسالةً إلى «رشيد»: «انتظر عند النقطة «ع»».

استمَرَّا في طريقهما وهما يرقبان «البورش»، وضغط «خالد» زرًّا في تابلوه السيارة، فجاءت صفارة مُتقطِّعة، فهم الاثنان أنها إشارةٌ من «قيس» ... عندما اقتربت النقطة «ع» كان «رشيد» يقف هناك، اتجها إليه حتى ركب، ثم انطلقوا.

كانت «البورش» تتجه إلى غرب «باريس»، فقال «رشيد»: ما الموقف الآن؟!

أخذ «خالد» يشرح لـ «رشيد» ما حدث، في الوقت الذي انهمك فيه «أحمد» بمتابعة الطريق ... وفجأةً قال «رشيد»: إننا في الطريق إلى السيرك ... أليس كذلك؟

استعرض «خالد» الطريق، ثم قال: هذا صحيح!

لم تمرَّ بضع دقائق حتى ظهر السيرك، فأبطأ «أحمد» السيارة، ثم توقَّف. كانت «الستروين» السوداء تقف أمام باب السيرك، وخلفها «البورش» الصفراء، أخرج «أحمد» منظاره المُكبِّر، ثم أخذ يستعرض ما يحدث. خرج «مايلز» من السيرك وكان يحمل حقيبةً سوداء قدَّمها لـ «ماك» الذي كان يجلس بجوار «قيس». قرأ «أحمد» حرفَي «إن-إس». تحرَّكت «البورش»، في حين ظلَّ «مايلز» يرقبها حتى اختفت، ثم خرجت «ريتا» تحمل حقيبةً أخرى سوداء، وقرأ «أحمد» عليها حرفَي «إن-إس». دخلت «ريتا» «الستروين» فدخل خلفها «مايلز»، وانطلقت السيارة في نفس الاتجاه.

نقل «أحمد» كل ما شاهده إلى الشياطين، فقال «خالد»: هناك خدعة إذن!

وقال «رشيد»: أيهما الحقيبة المطلوبة؟ لم يردَّ أحد بسرعة، غير أن «أحمد» قال في النهاية: إنها التي تحملها «ريتا»، ولا بد أن هناك شيئًا ما!

سأل «خالد»: ماذا تعني؟ فأجاب: الحقيبة التي يحملها «قيس» الآن يبدو أنها حقيبة مُزَيَّفة!

رشيد: ولماذا يحملها «قيس» وبجواره أحدهم؟

صمت «أحمد» قليلًا، ثم قال: علينا أن ننتظر ... ونرى!

ثم انطلقت «الستروين» في نفس الاتجاه الذي اختفت فيه «البورش».

ومن بعيد كان الشياطين يرقبون كل شيء ... لقد اتجهت السيارتان إلى شرق «باريس» حتى خرجت منها، ثم بدأ الريف الفرنسي ... إنهم يعرفون أن الرحلة سوف تمر بعِدة مدن فرنسية هي «ديجون»، ثم «ليون»، و«جرنيويل»، وأخيرًا «تورنيو»، ثم يصلون إلى «جنوا». ورغم أنه طريق طويل إلا أنه لا يمر بدول كثيرة، إنه يمر بنقطة واحدة فقط هي الحدود الإيطالية الفرنسية.

عند الظهيرة ظهرت مدينة «ديجون» ... واحدة من المدن الفرنسية المعروفة، دخلت السيارة «البورش»، ثم تبعتها «الستروين»، وظلَّ الشياطين على مسافة تُعطيهم الفرصة للمراقبة، وفي نفس الوقت لا يظهرون، وأخرج «أحمد» منظاره المُكبِّر، ثم بدأ يرصد الحركة.

كان «قيس» و«ماك» يجلسان على مقهًى صغير يحتسيان القهوة باللبن، وفي مقهًى آخر يبعُد عن الأول مائة متر وقفت «الستروين»، ولم ينزل منها أحد، ثم انقضت نصف ساعة قبل أن تتحرَّك السيارتان مرةً أخرى، فترك الرجال المدينة خلفهم، ودخلوا الريف حيثُ الخضرة المُمْتدَّة إلى مدى البصر، وهمس «خالد»: أعتقد أننا يجبُ أن نقوم بعملٍ ما؛ فنحن لا نعرف كيف يفكِّرون الآن؟

ومرَّت لحظة صمت، ثم قال «رشيد»: إن اصطدامًا محسوبًا يُمكن أن يفي بالغرض!

هزَّ «أحمد» رأسه، ثم قال: لا بأس، هناك إشارة لتقاطع بعد نصف كيلو يُمكن أن نستغله. وصمت لحظة، ثم قال: على «قيس» أن يتدبَّر الأمر!

أرسل «خالد» رِسَالةً إلى «قيس»: «السمكة الكبيرة خلفك. الصدمة في المُفترق». وضغط «أحمد» قدم البنزين فانطلقت السيارة كالصاروخ، أصبحت «الستروين» أمامها بخمسين مترًا، ضغط «أحمد» الكلاكس فبدأت «الستروين» تُفسح الطريق، إلا أن «أحمد» ظلَّ يضغط الكلاكس، حتى إن سائق «الستروين» لم يعرف ماذا يُريد، فأفسح له اليمين مرة، ثم الشمال مَرَّة، إلا أن «أحمد» كان يعرف ماذا يفعل، إنه يُريد أن يوقعه في الحيرة. فجأةً أعطاه إشارةً ليفسح له شمال الطريق، كان خلفه مباشرة، وفي نفس الوقت كانت «البورش» قد ظهرت، بل أصبح واضحًا أنها تهدِّئ من سرعتها. لم يمرَّ «أحمد» من شمال «الستروين» مباشرة، لقد دخل في الشمال، حتى إذا أصبح بجوارها تمامًا انحرف يمينًا فجأةً جعلت السائق يُسرع، حتى إن مُقدمة سيارة الشياطين ضربت مؤخِّرة «الستروين» بعنف جعلتها تدور حول نفسها. وعندما توقَّفت كان الشياطين قد استعدُّوا. لم يُغادِر أحد منهم السيارة الأخرى، في حين نزل ثلاثة من السيارة، ولم يكُن بينهم «مايلز»، واقتربوا من الشياطين، كانت الشَّراسة تبدو على وجوههم ... اقترب أولهم من «أحمد»، ثم قال في غِلظة: هل جُننت؟!

فابتسم «أحمد» وقال: آسف، لم أستطِع التحكُّم في عملية القيادة.

قال الرجل: إنك تتبعنا منذ بداية الطريق ... ماذا تريد؟

أحمد: لا شيء يا سيدي، إنني أعتذر مرةً أخرى!

نظر أحدهم إلى «أحمد» طويلًا، ثم قال: أُحذِّرك بأن تفعل ذلك مرةً أخرى!

وانصرف الرجال الثلاثة، وقال «رشيد»: يبدو أننا لا بد أن نُهاجمهم مباشرةً دون حاجة إلى إشارتهم!

ابتسم «أحمد» وقال: بل إنها فرصة؛ حتى نقترب من «ليون»!

ظلُّوا في مكانهم في حين انطلقت «الستروين»؛ فلم تكُن الإصابة ذات تأثير. وعندما أصبحت بعيدةً بما يكفي همس «خالد»: إنها فرصة أن نستخدم إبرة. إن إبرةً في إطار السيارة وهي مُسرعة يمكن أن يكون لها تأثير! وضغط «أحمد» قدم البنزين فانطلقت السيارة. كان يبدو أن «الستروين» تنطلق بأقصى سرعتها، إلا أن سيارة الشياطين كانت كالريح، في حين كانت «البورش» تبدو بعيدةً في بداية الطريق.

اقترب الشياطين من «الستروين»، وجهَّز «رشيد» بندقية الإطلاق المثبتة في مقدمة السيارة. ضبط مؤشِّر المسافة والهدف، ثم ضغط زرًّا في تابلوه السيارة.

أُضيئت لمبة حمراء ... وهي إشارة إلى انطلاق الإبرة، وفي لحظات دوَّت فرقعة هائلة، وأخذت «الستروين» تتلوَّى على الطريق، وكانت فرصةً لبداية الاشتباك.

أسرع «أحمد» أكثر حتى اقترب من «الستروين» التي تندفع في خط مُتعرِّج، فاصطدم بها في عنف جعل السيارة ترتج وتكاد تنقلب ... إلا أنها توقَّفت في آخر لحظة، وفي لحظات كان الرجال الثلاثة يُغادرون «الستروين» ... مُندفعين في ثورة في اتجاه الشياطين. كانت فرصة، نزل «أحمد» بسرعة وهو يهمس: انتظرا اللحظة المناسبة!

تقدَّم أولهم من «أحمد» وهو يسدِّد يدًا قويةً مع كلمات يقولها: لقد قلت لك ابتعد!

وقبل أن تصل يده إلى «أحمد» كان قد خطف يد الرجل فجأةً ودار به دورةً كاملة، جعله يضرب الاثنَين الآخرَين. في نفس اللحظة كان «خالد» و«رشيد» قد نزلا مُسرعَين، وتلقَّى كلٌّ منهما واحدًا، ثم بدأت المعركة.

طار «خالد» في الهواء، ثم ضرب الرجل ضربةً مُستقيمةً جعلت الرجل يدور حول نفسه ويسقط في جانب الطريق، غير أن «خالد» لم يتركه؛ فقد طار مرةً أخرى ليسقط فوقه، في نفس الوقت كان «رشيد» يُسدِّد ضربةً إلى الرجل، فترنَّح، وقبل أن يُفيق كان «رشيد» قد حمله فوق كتفه، ودار به بسرعة، ثم تركه فسقط بعيدًا يتلوَّى، بينما كان «أحمد» قد أمسك بقدم الرجل الثالث، غير أن صوتًا نادى «أحمد» جعله يلتفت، ثم يُلقي بنفسه على الأرض مُتدحرجًا؛ لقد كان أحد الرجال يوجِّه مسدَّسه إلى ظهر «أحمد» ... وعندما طاشت الطلقة كان «خالد» الأقرب إليه قد طار في الهواء وضرب المسدَّس بقدميه فسقط بعيدًا. وعندما كان الثاني يُحاول أن يسحب مسدسه كان «رشيد» قد عاجله بخنجره الذي طار في الهواء ليُصيبه في يده، حتى إن الرجل صرخ، ولم يستطِع إخراج مسدَّسه، أخرج «أحمد» مسدَّسه سريعًا، وسيطر على الموقف.

كان الرجال الثلاثة مُلقَون على الأرض يتألَّمون، وكانت «الستروين» صامتةً بعيدًا، لكن فجأةً دوَّت طلقات كالمطر، عرف الشياطين أنها صادرة من مدفع رشاش، ومن داخل السيارة «الستروين».

الحقيبة ... التي تحمل الشمس

قفز الشياطين بسُرعة خلف سيارتهم. كانت الطلقات تصطدم بجسم السيارة، ظلَّت الطلقات تُدوِّي حولهم ... في نفس الوقت كان الرجال الثلاثة يزحفون في اتجاه «الستروين». همس «خالد»: هل ننتهي منهم؟

قال «أحمد»: ليس بعد؛ حتى لا ينكشف الموقف. إن «الستروين» لن تتحرَّك الآن. نحتاج إلى «قيس».

أسرع «رشيد» فأرسل رسالةً شفريةً إلى «قيس».

كان معنى الرسالة: تخلَّص من «ماك» وعُد!

توقَّفت الطلقات، ونظر «أحمد» حوله وقال: نستطيع أن نلتفَّ حولهم دون أن يفطنوا لنا. إن النباتات حولنا تُعطينا الفرصة!

كانوا يرقدون على حافة حقل ذرة، وكانت سيقان الذرة ترتفع بما يُعطيهم فرصة الحركة، غير أن «رشيد» قال: إن أية حركة في سيقان الذرة سوف تجعل الطلقات كالمطر! ولم يكَد ينتهي من كلامه، حتى هبَّت بعض الرياح فأثارت أعواد الذرة، ومن جديد، دوَّى صوت الطلقات، فقال «رشيد»: كما توقَّعت، لكننا مع ذلك نستطيع أن نتصرَّف!

رقد «خالد» عند حافة السيارة، ثم أخذ يرصد حركة «الستروين». فجأةً اقترب صوت سيارة كانت آتيةً من الاتجاه المُضاد. لمح «خالد» أحد الرجال يقف في الطريق وهو يرفع منديلًا أبيض حتى تتوقَّف السيارة، إلا أن السيارة ظلَّت في تقدُّمها، واختفى الرجل. وصلت رسالة من «قيس» تلقَّاها «أحمد» وكانت الرسالة تقول: «تمَّ كل شيء ... إنني في الطريق. استعدوا!»

ارتفع صوت سيارة قادمة فقال «رشيد» الذي كان يرقبها: إنها ليست «البورش»! وظهرت «ريتا» ترفع يدها بمنديل أبيض، فتباطأت سرعة السيارة حتى توقَّفت، ودار حوار

بين «ريتا» والسائق الذي كان وحده. فجأةً نزل السائق، وفي لمح البصر كان أحد الرجال قد قفز حتى أصبح بجوار السيارة، فانقضَّ على سائقها الذي أُصيب بالفزع، وبسرعة كان الرجل يجلس إلى عجلة القيادة ويستدير بالسيارة مُقتربًا من «الستروين».

فقال «أحمد»: هذه فرصتنا أنهم سوف يقعون بين فكَّي الكماشة، نحن، و«قيس»!

انتقل أفراد العصابة إلى السيارة الأخرى التي انطلقت. وعندما قفز الشياطين داخل سيارتهم اكتشفوا أن أحد الإطارات قد أصابته رصاصة، فنزلوا بسرعة لاستبدال الإطار، إلا أن «البورش» كانت قد وصلت، وكان مفترق الطرق فرصةً ليتصرَّف «قيس».

أنزَلوا «ماك» الذي كان فاقد الوعي، وقفز «أحمد» مع «قيس»، وقال «أحمد»: استبدلا الإطار، وعالجا التي مع «ماك»، ثم الحقا بنا!

ضغط «قيس» قدم البنزين فانطلقت «البورش» كالريح. كان الطريق يبدو خاليًا أمام «البورش»، حتى إن «أحمد» تساءل: هل اختفت السيارة؟ ظهرت لافتة على يمين الطريق مكتوب عليها: «ليون» ٥ كم. فقال «قيس»: ربما دخلوا المدينة، أو إنهم في الطريق إليها. ثم رفع سرعة السيارة أكثر.

فجأةً أُضيئت لمبة حمراء في تابلوه السيارة، فعرف أن هناك رسالةً ما، كانت رسالةً من الشياطين: «الحقيبة لا تضم سوى بعض الأوراق العادية. نحن في الطريق إليكم».

فقال «أحمد»: كما توقَّعت! الحقيبة الهامة هي التي يحملها «مايلز»!

من بعيد ظهرت سيارة فقال «أحمد»: إنها هي نفس السيارة التي استولَوا عليها. وأسرع «قيس» أكثر حتى اقترب منها. كانت السيارة تدخل مدينة «ليون»، فقال «أحمد»: ينبغي أن تتبعها حتى تخرج من المدينة. إنها يمكن أن تختفي منَّا!

مرَّت لحظة صمت، وتوقَّفت السيارة أمام محطة بنزين، في نفس الوقت نزل أحد الرجال، ثم غادر المحطة ... كان «أحمد»، و«قيس» يراقبانه.

اقترب من تاكسي، ثم ركبه واختفى، فقال «أحمد»: يجب أن يسبقا «خالد» و«رشيد» إلى خارج المدينة في الطريق إلى «جرنيول»! وبسرعة أرسل رسالةً إليهما بنفس المعنى.

ظلَّا ... يُراقبان السيارة في محطة البنزين، وبعد لحظات غادرت السيارة المحطة، تبعاها عن بُعد، كانت السيارة تتجه إلى خارج المدينة، وبعد قليل دخلت موقف سيارات، ثم نزل الجميع بما فيهم «مايلز» الذي كان يحمل حقيبةً سوداء، أخذ الجميع طريقهم إلى مقهًى صغير على جانب الشارع، جلسوا قليلًا وأخذوا مشروبات باردة، ثم عادوا إلى موقف السيارات، لكنهم لم يركبوا نفس السيارة، لقد ركبوا سيارة مرسيدس بيضاء، انطلقت بهم بعد أن انضمَّ إليهم الذي تركهم في محطة البنزين.

ومن بعيد ظلَّ «أحمد» و«قيس» يُتابعان السيارة البيضاء. قطعوا المدينة، ثم بدءوا يصلون إلى خارجها. أرسل «أحمد» رسالةً إلى «رشيد»: «تقدَّموا في الطريق بما يكفي؛ إننا نحتاجكم في منتصف الطريق».

بدأ الريف يظهر خارج المدينة. كانت المرسيدس البيضاء تنطلق في هدوء، وكان من الضروري أن تظهر «البورش»؛ فالطريق مستقيم ولا يمكن أن يخفيها شيء ... أسرعت «البورش» أكثر حتى اقتربت من المرسيدس التي لم يظهر أنها اهتمَّت لذلك، وفي لمح البصر ... تجاوزتها حتى لا يشك أحد في اختفاء «ماك» ووجود «أحمد».

ما إن أصبح أمام المرسيدس حتى أعطاه السائق إشارةً ضوئية لمعت في المرآة الأمامية تعني انتظر، في نفس الوقت كان صوت الكلاكس ... يعني نفس المعنى. قال «قيس»: إن المسألة لن تحتمل لحظةً واحدة. إننا يجب أن نشتبك معهم مباشرة!

قال «أحمد»: انتظر قليلًا!

أرسل رسالةً سريعةً إلى «رشيد»: «انتظر الصدام النهائي الآن».

كان «قيس» قد خفض سرعة «البورش»، لكن ذلك لم يجعل المرسيدس الضخمة تلحق بها. فجأةً ظهرت سيارة «رشيد» و«خالد» في جانب الطريق. تجاوزها «قيس»، ثم تجاوز المرسيدس التي ظلَّت تعطي إشارةً ضوئيةً حتى يقف «قيس».

توقَّف «قيس» فجأةً عندما أصبح أمام المرسيدس مباشرة، ونزل «قيس» بسرعة حتى لا يُعطي فرصةً لأحد أن يقترب ويكشف وجود «أحمد».

أظهر «قيس» الدهشة على وجهه وهو يرى «مايلز» و«ريتا» ... وسأل: ما هذا؟! هل تسافرون في نفس الطريق؟!

ابتسم «مايلز»، وقال: ادعُ «ماك»!

قال بسرعة: إنه مُتعب قليلًا؛ فقد شعر ببعض الألم في معدته، واضطُررت أن أُعطيه بعض المهدِّئات، فنام.

نظر له «مايلز» قليلًا، ثم غادر السيارة. كانت الحقيبة تقبع على ركبتَي «ريتا». تقدَّم «مايلز» إلى «البورش» من ناحية «قيس» وليس من ناحية «أحمد». اضطُر «قيس» أن يُسرع خلفه. كان «أحمد» قد التفَّ في بطانية فلم يظهر منه شيء.

قال «مايلز»: «ماك»، «ماك»، هل أنت نائم؟

لم يردَّ «أحمد». أدخل «مايلز» رأسه من الشباك ومدَّ يده يهز «ماك». في لمح البصر كان «أحمد» قد ألقى البطانية، ثم جذب «مايلز» بسرعة، حتى إنه اصطدم بالسقف، وفي

نفس الوقت كان «خالد» و«رشيد» قد أسرعا إلى المرسيدس، إلا أن السائق الذي لمح ما حدث كان أسرع منهم، فانطلق بالسيارة متجاوزًا «البورش»، حتى إنه كاد يصدم «قيس» الذي ألقى نفسه على جانب الطريق. وقبل أن تبتعد المرسيدس كان «خالد» قد أصاب عجلتها الخلفية برصاصة سريعة، جعلتها تتوقَّف في النهاية.

وقف «مايلز» ينظر حوله. كانت السيارة المرسيدس مُعطَّلةً بعيدًا قليلًا، ومَن فيها لا يستطيعون التصرُّف. في نفس الوقت التفَّ الشياطين حول «مايلز» الذي قال: ماذا تريدون؟

قال «أحمد»: استدعِ «ريتا» ومعها الحقيبة!

مايلز: أية حقيبة! لقد كانت مع «روبين». أليس كذلك؟! ثم نظر لـ «قيس» وقال: إنني لا أفهم شيئًا أيها العزيز «روبين»؛ فليس هذا اتفاقنا!

قال «قيس»: أي اتفاق ... يا سيدي؟!

مايلز: اتفاقنا بتوصيل الحقيبة والرجل!

ابتسم «قيس» وقال: إنني عند وعدي يا سيدي؛ فمعي الرجل والحقيبة، وسوف أقوم بتنفيذ اتفاقنا، إنني لا أدري بالضبط ماذا يريد هؤلاء؟

نظر «مايلز» إلى الجميع بلا فهم، ثم قال: إنني لا أفهم شيئًا!

أحمد: سوف تفهم بعد قليل فقط، استدعِ «ريتا» ومعها الحقيبة، ولا تدَع أيًّا منهم يقترب!

استند «مايلز» على حافة «البورش» ولم ينطق، كان يبدو مستغرقًا في التفكير، جذبه «أحمد»، ثم أخرج مسدسه ووضعه في ظهره، ثم قال في هدوء: تقدَّم!

لم يتحرَّك «مايلز» ... لكزَه «أحمد» في ظهره بطرف المسدس فاضطُر إلى الحركة، بسُرعة قفز «قيس» في «البورش» وتقدَّم خلفهما، أيضًا قفز «خالد» و«رشيد» في السيارة الأخرى، وتقدَّما خلف «البورش».

كانت المسافة تضيق بين الشياطين والمرسيدس البيضاء التي لم يكُن أحد خارجها. توقَّف «أحمد» بعد أن اقترب من المرسيدس بما يكفي، ثم قال: اطلب من «ريتا» أن تُحضر بالحقيبة!

لم ينطق «مايلز» فقال «أحمد»: إذن، لا بد من تفجير السيارة! نظر «أحمد» إلى «خالد» و«رشيد»، ثم قال: الخطة «ن»!

نظر «مايلز» إلى «أحمد»، ثم إلى «خالد» و«رشيد» في دهشة، وفي لمح البصر رأى «مايلز» ما جعله أكثر دهشة؛ لقد أخرج كلٌّ منهما قنبلةً في حجم «البلية» الصغيرة، ثم دحرجها بالقرب من السيارة المرسيدس.

مرَّت دقائق وأخذت بعض الغازات البيضاء تتصاعد من القنبلتَين. انتشر الغاز بسرعة، حتى إن «مايلز» صرخ: اخرجوا من السيارة فسوف تنفجر! إلا أن أحدًا منهم لم يخرج من السيارة.

فجأةً دوَّت طلقات الرصاص على أثر صوت تكسير زجاج. لقد كسروا الزجاج الخلفي للسيارة المرسيدس، وأطلقوا النيران، لكن قبل أن تنطلق الرصاصات كان الشياطين قد انبطحوا أرضًا، فجأةً دوَّى انفجار قوي، ثم أعقبه آخر جعل «مايلز» يسقط على الأرض. لقد انفجرت القنبلتان وهما قنبلتا دخان فقط. بدأ الدخان ينتشر، حتى إن المرسيدس ... البيضاء لم تكُن تظهر جيدًا.

لبس الشياطين نظَّارات الرؤية ... رأوا الرجال الثلاثة و«ريتا» ينزلون في هدوء، ويتقدَّمون في الاتجاه المضاد. قيَّد الشياطين ... «مايلز»، ثم وضعوه في حقيبة السيارة، وركبوا السيارتَين، ثم تقدَّموا في هدوء حتى دخلوا منطقة الدخان. كان الآخرون قد تجاوزوها وأصبحوا يقفون مكشوفين في الطريق. خرجت السيارتان من منطقة الدخان ... فجأةً انهالت الطلقات على الشياطين، وأسرع الآخرون بالفرار جريًا.

انطلق الشياطين بالسيارتَين في اتجاههم ... وعندما أصبحوا بجوارهم تمامًا تركوا السيارتَين وقفزوا عليهم. كانت الحركة مفاجئة، حتى إن الرجال لم يستطيعوا التصرُّف. أسرع «خالد» بضرب الأقرب إليه، في نفس الوقت كان «رشيد» قد أطار المسدس من يد الآخر بضربة وهو لا يزال طائرًا في الهواء. أمَّا الثالث فقد عاجله «قيس» بضربة جعلته يتلوَّى من الألم، ووقفت «ريتا» تنظر إلى المنظر في دهشة؛ لقد رأت شياطين فعلًا!

لم تتحرَّك من مكانها، في نفس الوقت كان «أحمد» يجلس في ... «البورش» يرقبها. نزل في هدوء بينما كان الشياطين قد أمسك كلٌّ واحد منهم بأحد الرجال، ووضع يدَيه خلف ظهره.

تقَدَّم من «ريتا» وتحدَّث إليها في هدوء: هل تسمح سيدتي بالحقيبة التي تحمل الشمس؟

نظرت إليه «ريتا» في عدم فهم وسألت: هل ستقوم بتوصيلها؟

ابتسم «أحمد»، ونظر إلى الشياطين وقال: نعم، سوف أقوم بتوصيلها.

في نفس الوقت دوَّت في الخلاء الريفي سيارات الشرطة آتيةً من كل اتجاه.

نظر «أحمد» إلى «ريتا» وقال: نعم، سوف أقوم بتوصيلها ... للشرطة!

وفي دقائق كانت سيارات الشرطة قد وصلت. نزل أحد الضباط، ثم حيَّا «أحمد» في حرارة، بينما كان جنود الشرطة يجمعون أفراد العصابة.

كان «أحمد» قد أخذ الحقيبة من «ريتا»، ثم فتح حقيبة السيارة حيث يرقد «مايلز» ... وفتح الأخرى حيث يرقد «ماك».

وعندما انصرف رجال الشرطة كان «أحمد» يتلقَّى رسالةً من رقم «صفر»: «تهنئتي. إلى اللقاء».

وانطلقت «البورش» الصفراء في طريق العودة إلى «باريس».

هنـــداوي